رسالة الحسين عليه السلام

حسين العايش البراك

تاريخ ١٤٣٧/٢/١٢هـ

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين...وبعد.

فإن الإمام الحسين (ع) هو الكتاب الناطق، ولثورته أسرار وآثار يعجز عن إدراكها العقل البشري لما تضمنته من معانٍ غيبية، هي من ألطاف الله تعالى على الخلق لإيصالهم إلى كمالهم،

من هنا فإن لنهضة الإمام (ع) جنبتين:

۞ الأولى: غيبية، أفصحت عنها بعض الروايات بشيء من الاقتضاب، كما ورد في قوله (ص) «إنّ الحسين بن علي في السماوات أعظم مما هو في الأرض، واسمه مكتوب عن يمين العرش إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

۞ الثانية: ترتبط بعالم الشهود، وفيها كثير من الأسرار والحكم التي تظهر لمن تأمل في آي القرآن الكريم والروايات الواردة عن النبي (ص) وأهل البيت (ع)، وقد تتبعت هذه الروايات وتأملت فيها فرأيتها تجلي حقائق الثورة الحسينية بنحو إذا سار عليه المحب استطاع أن يحقق مقاصدها، ولهذا حاولت جاهداً أن ألخص هذه التجربة التي عشتها في القراءة والتمحيص والمقارنة ما يقرب من ربع قرن ببحث موجز يستطيع به القارئ العادي ـ إذا كان في مرحلة الثانوية أو أعلى من ذلك ـ أن يلمَّ بمفاصل هذه الثورة المباركة، ويتاح أيضاً للعالم أن يقتنص بعض الأفكار الثرة بالعطاء، والتي توصلت إليها من خلال المقارنة والفهم الدقيق لما يريد الأئمة من أهل البيت (ع) أن يوصلوا الناس اليه، فإن العالم إذا أراد ذلك فبإمكانه أن يقتنص من هذه الرسالة مسائلَ هامة كمسألة الخلافة والإمامة، ليرى أن الحسين (ع) عندما ثار كانت الأرضية قد هيئت له من الإمام الحسن (ع)، لتكون إمامته شرعية وقانونية بمنظور مدرسة الخلافة مع مدرسة أهل البيت (ع) من خلال نص أحد بنود الصلح على ذلك: "أن يكون الامر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به الى احد"(بحار الأنوار للمجلسي ج١٠ ص١١٥، والفصول المهمة لابن الصباغ وغيرهما).

وهكذا الأمر إذا أراد باحث أن يستعرض بعض مقاصد الثورة الحسينية، كالعدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفتح، فإن بإمكانه أن يؤلف كتباً في ذلك، ولا غرو فإن الحسين (ع) يتجدد

بتجدد الزمان والمكان، وتظهر بعض أسرار نهضته من خلال الامعان والتأمل في كلماته وشعاراته التي طرحها الإمام (ع) ليستنهض بها الهمم، ويؤكد كرامة الجانب الإنساني الذي أفصح عنه الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الاسراء:٧٠)، وأملي كبير أن تحقق هذه الرسالة الفائدة المرجوة منها في غرس ثقافة حسينية مؤصلة على ضوء الآيات والروايات الواردة عن النبي (ص) وأهل البيت (ع)، وقد جعلت قيمة الاستفادة من هذه الرسالة الصلاة على محمد وآله ثلاث مرات وإهداءها إلى روح والديّ وأرواح المؤمنين والمؤمنات.

والحمد لله رب العالمين

رسالة الحسين عليه السلام

لكل القادة الإلهيين غَاياتٌ وأَهدافٌ خاصة وعامة، ونقصد بالهدف الخاص ما ينفرد به عن غيره ليصبّ في الهدف العام الذي يشترك فيه الجميع أو يشترك فيه مع غيره، غير أنّ له ما يميزه كعنوان الإصلاح الذي اشترك فيه الحُسين مع الأنبياء والرسل إلا أنه امتاز بأساليبه الخاصة وطرقه المتميزة، ولهذا عنونه الحُسين عليه السلام بأنه إصلاح في أمة جدّه على وفق السير بسيرة جدّه وأبيه ليكون قبوله بقبول الحق، والله هو أولى بالحق، ومن ردّ عليه صبر حتى يلقى ربه. قال عليه السلام: «وإني لم أَخرجْ أَشِرًا ولا بَطرًا ولا مُفسدًا ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين» (البحار للمجلسي ج٤٤ ص٣٢٩-٣٣٠)، وهو مضمون قول شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨).

الإصلاح

الإصلاحُ مَفهومٌ شامل للجانب الاقتصادي والثقافي والسياسي والديني بالنحو العام، الذي يشمل الجميع؛ لكونه يشكل الأسس والقواعد العامة التي تبنى عليها جميع المفاهيم؛ ولهذا هو الأهم هنا لأنه يشكل الجانب المضاد لهدف الأمويين. لقد كان هدف الأمويين القضاء على الإسلام أو إفراغه من محتواه، ولعل تمثل يزيد ببيت ابن الزبعرى:

لَيتَ أَشياخِي بِبدر شَهِدُوا*جَزَعَ الخزرج من وَقع الأَسَلْ

لأَهَلُّوا وَاستهلُّوا فَرَحًا*ثُمَّ قالوا يَا يَزيدُ لا تشلْ

قَد قَتلنا القرم من سَاداتكم*وعدلنا ميل بَدر فَاعتدلْ

لَستُ من خندف إن لم أَنتقم*مِن بني أَحمد مَا كَان فعلْ

لعبتْ هاشمٌ بالملك فلا*خبرٌ جَاءَ ولا وحي نزلْ

(تاريخ الطبري - الطبري ج٨ ص١٨٧-١٨٨)

وكذلك نُقل أيضًا عن أبيه معاوية مثل ذلك؛ فقد حَدّث مطرف بن المغيرة: أن معاوية قال للمغيرة في سياق حديث ذكر فيه معاوية ملك أبي بكر وعمر وعثمان، وأنهم هلكوا فهلك ذكرهم: « وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهدُ أن محمدًا رسول الله، فأيُّ عمل يبقى مع هذا لا أُمَّ لك ؟ ! لا والله، إلا دفنًا دفنًا» (الموفقيات ص٥٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ١٢٩ و ١٣٠ ومروج الذهب ج ٣ ص ٤٥٤)٠

ونُقِلَ هذا المضمون أيضًا عن أبي سفيان في شرح النهج عن الشعبي: «فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار، ثم أغلقوها عليهم، فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا: لا، قال: يا بنى أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة ! » (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩ ص٥٣-٥٤)٠

غير أنّ الأمة — بسبب التضليل الإعلامي وشراء الذمم – لم تستطع أن تعي الحقيقة؛ فأراد الحُسينُ عليه السلام أن يضع حدًّا فاصلاً لذلك، لتوافر عوامل متعددة لم تكن متوفرة لأخيه الحسن عليه السلام، من أهمها:

إبرام الصلح بين معاوية والحسن عليه السلام الذي ينصّ أحدُ بنوده على أنّ الأمر من بعد معاوية للحسن عليه السلام، فإنْ حدث به حدث فللحُسين من بعده، وقد عزّز ذلك ببيعة كثير من أهل العراق للحُسين عليه السلام، بإرسال الكتب له: «أنْ أَقدِم فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار، وإنما تقدم على جُند مجنّدة»، ومعنى ذلك أنّ أهل الحلّ والعقد قد بايعوا الحُسين عليه السلام مرتين: الأولى: من خلال الصلح المبرم بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام، والثانية: بإرسال البيعة من قبل أهل العراق بعد موت معاوية.

فإذن طبقًا لنظرية بيعة أهل الحل والعقد أو نظرية الشورى التي يحتج بها العامة؛ فإنّ الحُسين عليه السلام توافر له ذلك.

أما أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنّ الحُسين عليه السلام هو إمامٌ مُفترضُ الطّاعة قام أو قعد، لنصوص القرآن الكريم كآيتي التطهير والمودة، وعشرات الأحاديث المتواترة الدالة على

مرجعية أهل البيت عليهم السلام ووجوب طاعتهم كحديث الثقلين، والغدير والسفينة وغيرها من الأحاديث الدالة على ولايتهم وإمامتهم عليهم السلام.

هدف الإصلاح

ولهذا فإنّ قوله عليه السلام: «وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله» (البحار للمجلسي ج٤٤ ص٣٢٩-٣٣٠)، قصد به الإصلاح الديني لكونه الأساس، إذْ كان الأمويون كما مرّ من كلماتهم لا يؤمنون بالدين الذي جاء به المصطفى صلى الله عليه وآله، بل يريدون القضاء عليه؛ فأراد الحُسين عليه السلام أن يحافظ على الدين غضًّا طريًّا يرفع من مستوى الإنسان بالحفاظ على قيمه ومبادئه، كيلا تتغول السلطة ويكون الدين تابعًا لها، ومصالحها العليا هي الأساس، ولم يجد عليه السلام طريقًا يوقظ به ضمير الأمة ويوقف المسلم عند مسؤوليته بوعي لأهداف الرسالة إلاّ بتقديم نفسه وأهل بيته وأصحابه قرابين في سبيل الله، أي أنه عليه السلام على دراية تامة أنّ دمه الزكي هو الدواء الناجع لذلك الداء المستشري، وقد أفصح عنه في كلماته المتعددة كقوله عليه السلام: «وَخَيرٌ لي مَصرعٌ أنا لاَقِيهِ، كَأني بِأَوصَالي تُقطِّعُها عُسلانُ الفَلَوَاتِ، بين النَّواويسِ وكَربَلا، فَيملأَن مِني أَكَراشًا جوفًا وأجربة سغبًا لا محيصَ عن يوم خُطَّ بالقَلم» (البحار للمجلسي ج٤٤ ص٣٦٧).

وقوله عليه السلام: «واللهِ لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي» (البحار للمجلسي ج٤٤ ص٣٧٥).

وقوله عليه السلام: «أما بعد فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» (البحار للمجلسي ج٤٥ ص٨٧).

وقوله عليه السلام: «قال: أتاني رَسولُ الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال: يا حُسين اخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً» فقال محمد ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال ؟ قال: «فقال [لي صلى الله عليه وآله]: إن الله قد شاء أن يَراهنّ سبايا» (البحار للمجلسي ج٤٤ ص٣٦٤).

إذن كان عليه السلام يعلم جازمًا باستشهاده، وأنّ ذلك الاستشهاد سيؤدي إلى ثمرات متعددة، من أهمها:

الفتح، ولعل المراد منه: هو إيجاد طريق واضح لا لبس فيه يُرِي حقيقةَ الإسلام لكون ما فعله الأمويون أغلق جميع المنافذ ولن يستطيع أحد إذا بقوا على ما هم عليه أن يرى الحقَّ فضلاً عن أن يكون من أتباعه.

ويمكن أن يراد به: الفتح الحقيقي بسقوط المشروع الأموي وظهور النهج المحمدي الأصيل المتجسد في أهل البيت عليهم السلام الذي أفصح عنه المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله: «حُسينٌ مِني وأنا من حُسين» (ميزان الحكمة للريشهري ج١ ص١٥٨).

وهناك معانٍ أخرى:

منها : أن يراد به فتح القلوب المغلقة بتوافر الشرائط الموضوعية من خلال سماع صوت الحُسين وفهم مدرسة أهل البيت بالمقارنة مع المدارس الأخرى.

منها : المقدمات التي تسهم في ظهور الحق وتؤسس لحركة الإمام المهدي عليه السلام، ويؤيده ورود بعض النصوص القائلة: بأنّ شعار أصحاب المهدي عليه السلام (يا لثارات الحُسين)(الأمالي للصدوق ص١٩٢).

منها : الإيضاح والبيان بأنّ الحق لا يمكن أن يتبع إلاّ من خلال الدفاع عنه بالأموال والأنفس، ولعل في الآية الكريمة إيماءة إلى ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(التوبة:١١١)، إلى غير ذلك من المعاني التي تلتقي مع ما قدمناه في بعض المضامين.

هو عليه السلام عِبرة وعَبرة، عاطفة وعقل، فهم للواقع ويقظة ضمير للتفاعل معه، من هنا أكّد النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام على البكاء عليه لما لهذا البكاء من تأثير إيجابي في تفاعل الإنسان مع عقيدته، وقد أوضحت الروايات ضرورة البكاء بحزن يصل إلى حدّ الجزع على الإمام الحُسين عليه السلام:

منها : ما رواه الريّان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا (عليه السلام) في أول يوم من المحرم، فقال لي: «يا بن شبيب، أصائم أنت ؟ فقلت: لا . فقال: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا (عليه السلام) ربه عز وجل، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فاستجاب به، وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب: ﴿أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحيى﴾ فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له، كما استجاب لزكريا (عليه السلام) . ثم قال: يا بن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها (صلى الله عليه وآله)، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفرَ الله لهم ذلك أبدًا. يا بن شبيب، إن كنت باكيًا لشيء، فَابكِ للحُسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فإنه ذُبِحَ كما يُذبحُ الكبشُ، وقُتِلَ معه من أهل بيته ثمانيةَ عشرَ رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعةُ آلاف لنصره فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شُعثٌ غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحُسين. يا بن شبيب، لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده (عليه السلام): أنه لما قُتِلَ جدي الحُسين (صلوات الله عليه)، مطرت السماء دمًا وترابًا أحمر، يا بن شبيب، إن بكيت على الحُسين (عليه السلام) حتى تصير دموعك على خديك غَفر اللهُ لك كُلَّ ذنب أذنبته، صغيرًا كان أو كبيرًا، قليلاً كان أو كثيرًا»(الأمالي للصدوق ص١٩٢).

ومنها : ما روي عن علي عليه السلام أنه دخل على النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فقال: «يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي

جبريل قبل فحدثني أن الحُسين يقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته قال: قلت: نعم، فَمَدَّ يدَه فَقَبض قبضةً من تراب فأعطانيها؛ فلم أملك عيني أن فاضتا» (مسند أحمد - الإمام احمد بن حنبل ج١ ص٨٥).

ومنها : روى ابن حبان في صحيحه ٦ / ٢٠٣، عن أنس بن مالك قال: استأذَنَ مَلَكُ القَطر رَبَّه أَنْ يَزورَ النَّبيَّ (صلى الله عليه وآله)، فَأَذِنَ لَهُ، فكان في يوم أم سلمة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «اِحفظي علينا الباب، لا يَدخل علينا أحد».

فبينا هي على الباب، إذ جاء الحُسين بن علي (عليهما السلام)، فظفر، فاقتحم، ففتح الباب، فدخل، فجعل يتوَثَّب على ظهر النبي (صلى الله عليه وآله).

وجعل النبي (صلى الله عليه وآله) يتلثمه ويقبله، فقال له المَلَك: أتحبه ؟

قال (صلى الله عليه وآله): نعم .

قال: أمَا إنَّ أمَّتك ستقتله، إن شئت أريتُكَ المكان الذي يُقتل فيه ؟

قال (صلى الله عليه وآله): نعم .

فقبض قبضة من المكان الذي يُقتل (عليه السلام) فيه، فأراه إياه، فجاءه بسهلة أو تراب أحمر، فأخذَتْهُ أمُّ سلمة، فجعلَتْهُ في ثوبها.

وأما بكاء النبي (صلى الله عليه وآله) عليه، فمنه ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٧٦، عن أم الفضل بنت الحارث، أنها دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله، إني رأيت حلمًا مُنكَرًا الليلة.

قال (صلى الله عليه وآله): مَا هُوَ .

قالت: إنه شديد.

قال (صلى الله عليه وآله): ما هو .

قالت: رأيت كأَنَّ قطعة من جسدك قطعت، وَوُضِعت في حِجْري.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رَأيتِ خَيرًا؛ تَلِد فاطمةُ -إن شاء الله- غُلامًا، فيكونُ في حِجرك .

فَوَلدت فاطمة (عليها السلام) الإمام الحُسين (عليه السلام)، فكان في حجري كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فدخلتُ يومًا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فوضعتُهُ في حِجره، ثم حانَتْ مِنِّي التِفَاتَة، فإذا عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) تهريقان من الدموع.

فقلت: يا نبي الله، بأبي وأمي، ما لَكَ ؟

قال (صلى الله عليه وآله): أتاني جِبريل عليه الصلاة والسلام، فأخبرَني أنَّ أُمَّتي ستقتُل ابني هذا .

فقلت: هذا؟!

فقال (صلى الله عليه وآله): نعم .

وأتاني (صلى الله عليه وآله) بتربة من تربته (عليه السلام) حمراء.

ثواب البكاء على الحسين عليه السلام

قال الرضا (ع): «من تذكر مصابنا وبكى لما أُرتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذُكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تَبكِ عينُه يوم تَبكي العيون، ومن جلس مجلسًا يحُيي فيه أمرُنا، لم يمتْ قلبُه يوم تموت القلوبُ» (الأمالي للصدوق ص١٣١).

وقال الصادق (ع): «من ذَكَرنَا أو ذُكِرْنَا عنده فخرج من عينه دمعٌ مثل جناح بعوضة، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» (تفسير القمي ج١٢ ص٢٩٢).

وقال (ع) أيضًا: «نَفَسُ المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة، وكتمان سرّنا جهادٌ في سبيل الله .. ثم قال: يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب» (الأمالي للشيخ المفيد ص٣٣٨).

وقال الحُسين بن علي (ع): «أنا قتيل العَبْرة، قُتلت مكروبًا، وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروبٌ قط، إلا ردّه الله أو أقلبه إلى أهله مسرورًا» (كامل الزيارات ص١٠٨).

وعن عمارة بن المنشد قال: «ما ذُكر الحُسين بن عليّ عند أبي عبدالله في يومٍ قطُّ، فرُئيَ أبوعبدالله (ع) متبسّمًا في ذلك اليوم إلى الليل، وكان أبوعبدالله (ع) يقول: «الحُسينُ عَبْرةُ كُلِّ مُؤمِن» (كامل الزيارات لابن قولويه ص٢١٥).

وقال الصادق (ع): «إن الحُسينَ بن علي عند ربه عز وجل ينظر إلى معسكره ومن حلّه من الشهداء معه، وينظر إلى زوّاره، وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله عز وجل من أحدكم بولده، وإنه ليرى من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءَه عليهم السلام أن يستغفروا له، ويقول: لو يعلم زائري ما أعدّ الله له، لكان فرحُه أكثرَ من جزعه، وإن زائره لينقلب وما عليه من ذنب» (الأمالي للشيخ الطوسي ص٥٥).

وقال الإمام علي بن الحُسين (ع): «أيمّا مؤمن دمعت عيناه لقتل الحُسين بن علي دمعة حتى تسيل على خدّه، بوّأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا. وأيما مؤمن دمعت عيناه دمعًا حتى يسيل على خده لأذًى مسّنا من عدونا في الدنيا بوّأه الله مُبوَّأَ صدقٍ في الجنة . وأيما مؤمن مسّه أذًى فينا، فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خديه من مضاضة ما أُوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار» (كامل الزيارات لابن قولويه ص٢٠١).

وقال الصادق (ع) لفضيل: «تجلسون وتحدثون ؟.. قال: نعم جعلت فداك!.. قال: إن تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيى أمرنا .

يا فضيل !.. من ذَكَرنا أو ذُكِرنا عنده فخرج من عينه مثلُ جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر» (قرب الإسناد للحميري القمي ص٣٦).

والأحاديث الآنفة تؤكد على أهمية البكاء وثوابه الجزيل عند الحق تعالى، أي أنّ الروايات لم تكتف بمشروعية البكاء بل بينت بعض الآثار الوضعية المترتبة عليه في عالمي الدنيا والآخرة؛ ليرتبط المؤمن من خلال مسارعته للخير للتفاعل الوجداني كي يحصل على ما أعده الله تعالى من الثواب الجزيل في الآخرة لمن بكى أو دمعت عيناه على الحُسين عليه السلام، وحري بنا أن نتساءل لِمَ هذا الثواب لمن بكى على الحُسين عليه السلام؟

سر البكاء على الحسين عليه السلام

إنّ سر ثواب البكاء على الحُسين عليه السلام يكمن في كونه تفاعلاً بالوجدان، يُقرِّبُ المتفاعل من مبادئ الحُسين عليه السلام وقيمه؛ فيقترب بدرجة ما إلى تلك القيم ليطبقها على

نفسه وعلى أسرته ومجتمعه، أي أنه يسير في طريق الإصلاح في الأمة دون أن يكون سيره أشرًا ولا بطرًا ودون أن يتلبس بالظلم والفساد، بل يمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على نهج محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما، ولهذا كان قتل الحُسين عليه السلام له حَرارةٌ لا تبرد أبدًا.

ديمومة التفاعل الإيجابي بالعاطفة لمقتل الحسين [ع]

عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: «نظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الحُسين بن علي (عليهما السلام) وهو مقبل، فأجلسه في حجره وقال: إِنَّ لِقتل الحُسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدًا، ثم قال (عليه السلام): بأبي قتيل كل عَبرة، قيل: وما قتيل كل عَبرة يا بن رسول الله ؟ قال: لا يَذكره مؤمنٌ إلا بَكى» (جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ج١٢ ص٥٥٦).

يشير الحديث إلى أنّ مظلومية الحُسين عليه السلام هي جزء من المنظومة القيمية للمؤمن؛ إذْ أنه يؤمن بالعدالة وقيم الأنبياء والرسل عليهم السلام، ويرى أنّ التعدي الصارخ على من جسّد تلكم القيم حرارة حقيقية لا تنطفأ في قلبه، ويعود السبب إلى أنّ تلك الأعلام المرفوعة والمناهضة لقيام الحُسين عليه السلام ما زالت مرفوعة عاليًا تناهض الحُسين عليه السلام ليل نهار صباح مساء فيتألم المؤمن لذلك؛ لأنه يرى أنّ انتهاك حرمة الحُسين عليه السلام باقٍ رغم مرور الزمن الطويل، ولعل الحديث يشير في عمقه إلى ربط قضية الحُسين عليه السلام بالصراع بين الحق والباطل وحزن وألم من يحمل الحق لغلبة الباطل، أو لظهوره بين من يدعي الإسلام ويقف في وجه مبادئه.

إيضاح : لا يخفى أنّ هذا المعنى لا يتنافى مع الألم الحقيقي على شخص الحُسين عليه السلام، إلاّ أنه يعمقه ويرى أنّ الإمام عليه السلام لا ينحصر في شخصه، بل يعم وجود الخير كله، أي أنه تأويل الحديث ينسجم مع الأحاديث الأخرى التي توضح أنّ المعصوم عليه السلام هو مظهر التوحيد والأحكام الإلهية الأخرى.

تجلية: إنّ ما تقدم أُفصِحَ عنه في زيارات الحُسين عليه السلام، فقد ورد فيها:

«أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر واتبعت الرسول وتلوت الكتاب حق تلاوته ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» (الكافي - الشيخ الكليني - ج ٤ - ص ٥٧٤) والزيارة توضح دون لبس ارتباط الأحكام الإلهية بحقائقها بالإمام عليه السلام.

وفي زيارة أخرى توضح حمل الإمام عليه السلام رسالات السماء وأهداف الأنبياء من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء بعده، جاء فيها:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وراث إبراهيم خليل الله السلام عليك يا وراث موسى كليم الله، السلام عليك يا وراث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث وصي رسول الله، السلام عليك يا وارث الحسن الزكي، السلام عليك أيها الشهيد الصديق الأكبر» (تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج ٦ - ص ٥٨)٠

الحزن العميق

لقد طلب الأئمة عليهم السلام من خلال سيرتهم العملية وأمر الموالين بالاقتداء بهم أن يكون الحزن على الإمام الحُسين عليه السلام يختلف عن مظاهر الحزن الأخرى، فكان بكاء الأئمة عليهم السلام على الإمام عليه السلام فيه لوعة ونحيب يظهر من خلاله ألم المعصوم (ع).

قال الإمام الصادق (ع): «يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحُسين(ع) ؟ قلت: لا؛ لأن أنا رجل مشهور من أهل البصرة وأعداؤنا كثيرة من أهل القبائل من النصاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند الوالي فيمثلون بي، قال لي: أفما تذكر ما صنع بالإمام الحُسين؟ قلت: بلى، قال أفتجزع؟ قلت: أي والله وأَستعبرُ لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي؛ فأَمتنعُ من الطعام حتى يستبين ذلك على وجهي، قال(ع): رحم الله دمعتك أما إنك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا و يأمنون إذا أمنا، أما إنك سترى

عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت، فملك الموت أرق عليك وأشد رحمة من الأم الشفيقة على ولدها، ثم بكى الإمام وبكيت».

عن أبي حمزة، عن أبي عبد الله (ع)، قال: سمعته يقول: «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحُسين بن علي (ع)، فإنه فيه مأجور». (كامل الزيارات لابن قولويه ص٢٠١).

معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام –في حديث– أنه قال لشيخ: «أين أنت من قبر جدي المظلوم الحُسين (عليه السلام) ؟ قال: إني لقريب منه . قال: كيف إتيانك له ؟ قال: إني لآتيه وأكثر، قال: يا شيخ، ذاك دم يطلب الله (تعالى) به، ما أصيب ولد فاطمة ولا يصابون بمثل الحُسين (عليه السلام)، ولقد قتل (عليه السلام) في سبعةَ عشرَ من أهل بيته، نصحوا لله وصبروا في جنب الله، فجزاهم أحسن جزاء الصابرين، إنه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه الحُسين (عليه السلام) ويده على رأسه تقطر دما فيقول: يا ربّ، سَلْ أمتي فِيمَ قَتلوا ولدي» .

وقال (عليه السلام): «كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحُسين (عليه السلام) » . (الأمالي – الشيخ الطوسي – ص ١٦٢).

عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام –في حديث–: «فعلى مثل الحُسين فَليبكِ الباكون؛ فإن البكاء عليه يَحطُّ الذنوبَ العِظام»، ثم قال عليه السلام: «كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضَاحكًا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحُسين عليه السلام». (وسائل الشيعة (آل البيت) – الحر العاملي – ج ١٤ – ص ٥٠٤ – ٥٠٥)

عن إسماعيل بن منصور، عن بعض أصحابنا، قال: «أشرف مولى لعلي بن الحُسين (عليهما السلام) وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا مولاي يا علي بن الحُسين اما آنَ لحزنك أن ينقضي، فرفع رأسه إليه وقال: ويلك – أو ثكلتك أمك – واللهِ شَكَى يَعقُوبُ إلى ربّه في أقل مما

رأيت حتى قال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾، إنه فَقَدَ ابنًا واحدًا وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي، قال: وكان علي بن الحُسين (عليهما السلام) يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر، فقال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحُسين بن علي (عليهما السلام) فأرقّ لهم». (كامل الزيارات – جعفر بن محمد بن قولويه – ص ٢١٣ – ٢١٤).

وعن بعض مواليه قال: خرج يومًا إلى الصحراء فتبعته، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، وأحصيت له ألف مرة وهو يقول: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ حَقًّا حَقّا، لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ تَعَبُّدًا وَرِقًّا، لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ إيمانًا وصدقًا، ثم رفع رأسه من سجوده، وأن لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي، ما آنَ لحزنك أن ينقضي ؟ ! ولبكائك أَنَّ يَقلَّ ؟ ! فقال لي: ويحك، إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبيًّا ابن نبي، وكان له اثنى عشر ابنًا، فغيَّب الله واحدًا منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهرُه من الغم والهم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعةَ عشرَ من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويذهب بكائي ؟ !(وسائل الشيعة (آل البيت) – الحر العاملي – ج ٣ – ص ٢٨٢ – ٢٨٣).

الجزع في اللغة

جزع لمصابه: لم يصبر على ما أصابه.

* جزع: قال الله تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ ،الجَزُوع ضد الصَّبُورِ على الشرّ والجَزَعُ نَقِيضُ الصَّبْرِ. جَزِعَ بالكسر يَجْزَعُ جَزَعًا فهو جازع وجَزِعٌ وجَزُعٌ وجَزُوعٌ وقيل: إذا كثر منه الجَزَعُ فهو جَزُوعٌ وجُزاعٌ عن ابن الأَعرابي وأَنشد: ولستُ بِميسَمٍ في الناس يَلْحَى على ما فاته وخِمٍ جُزاع وأجزعه غيرُه. (لسان العرب – ابن منظور – ج ٨ – ص ٤٧).

روايات في الصبر على المصيبة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الصَّبرُ صَبران: الصَّبرُ عَلى البَلاء حَسنٌ جَميلٌ، وأَفضلُ منه الصَّبرُ على المحارمِ». (بحار الأنوار للمجلسي ج٦٨ ص٩٥).

عن ابن عميرة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «اتقوا اللهَ واصبروا فإنه من لم يصبر أهلكه الجزعُ، وإنما هلاكه في الجزع أنه إذا جزع لم يؤجر». (بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٦٨ – ص ٩٥).

عن جابر بن عبد الله أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «من كنوز الجنة البر وإخفاء العمل، والصبر على الرزايا، وكتمان المصائب» (بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٦٨ – ص ٩٥).

الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن يونس بن يعقوب قال: أمرني أبو عبد الله (عليه السلام) أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل وقال: « اقرأ المفضل السلام وقل له: إنا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا، إنا أردنا أمرًا وأراد الله عز وجل أمرًا، فسلمنا لأمر اللهِ عَزَّ وجَلَّ » (موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) للشيخ هادي النجفي ج٦ ص١٦).

الكليني، عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد». (موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) – الشيخ هادي النجفي – ج ٦ – ص ١٦).

الإسكافي رفعه إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما من مؤمن إلا وهو مبتلى ببلاء منتظر به ما هو أشد منه؛ فإن صبر على البلية التي هو فيها عافاه الله من البلاء الذي ينتظر به وإن لم يصبر وجزع نزل به من البلاء المنتظر أبدا حتى يحسن صبره وعزاؤه». (موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) – الشيخ هادي النجفي – ج ٦ – ص ١٧).

المراد بالجزع في الروايات

يظهر من خلال الروايات أنّ المراد بالجزع هو إظهار الحزن والألم والتحسر بالبكاء على الإمام الحُسين عليه السلام بحيث لا يستطيع الجازع أن يكون طبيعيًا فيأكل أو يشرب، وإذا نظرت إلى رواية مسمع يتجلى لك ذلك بوضوح، انظر إلى قول الإمام عليه السلام: «قال أفتجزع؟ قلت: أي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي، فامتنع من الطعام حتى يستبين ذلك على وجهي»، أما الرواية الثانية فقد فسرت الجزع بإظهار الحزن والألم بالبكاء على الحُسين عليه السلام: «كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحُسين عليه السلام».

ويضاف للبكاء الندبُ بالويل والثبور ولطم الصدر والرأس بل وشق الجيوب للنساء لإظهار الحزن والألم، لورود ذلك في الروايات التي ذكرت الجزع وبينت أنّ اللطم والندب بالويل والثبور من أشد أنماط الجزع، وإليك طائفة من الروايات:

- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «وَلَقدْ شَقَقْنَ الجيوبَ، وَلَطَمْنَ الخدودَ الفَاطِميات عَلى الحُسين بن عَلي وَعَلى مثله تُلْطَمُ الخدودُ، وَتُشَقُّ الجُيوبُ».
- وفي الجواهر: أن حديث لطم الفاطميات مُتواتر، ونقله رحمه الله عن ابن إدريس أيضًا. (تهذيب الأحكام ج٨ ص٣٢٥ وكشف الرموز ج٢ ص٢٦٣ والمهذب البارع ج٣ ص٥٦٨ والمسالك للشهيد الثاني ج١ ص٢٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٩٢ والوسائل ج١٥ ص٥٨٣ ط المكتبة الإسلامية، وجواهر الكلام ج٤ ص٣٧١ و ج٣٣ ص١٨٤).
- وحين أخبر الإمام الحُسين عليه السلام أخته، بأنه عليه السلام رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه قال له: إنك تروح إلينا: «لطمت أخته وجهها، ونادت بالويل، الخ... » (الإرشاد للمفيد ص٢٣).
- وحين أنشد دعبل الخزاعي تَائِيَتَه المشهورة، أمام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وفيها :

أَفَاطمُ لو خِلتِ الحُسين مجدلاً *** وَقَد مَاتَ عطشانًا بِشطِّ فُرَاتِ

إِذنْ لَلَطَمْتِ الخدَّ فَاطمُ عِندَهُ *** وَأَجريْتِ دَمْعَ العَينِ في الوَجَنَاتِ

لم يعترض عليه الإمام، ولم يقل: إن أُمَّنَا فاطمة عليها السلام لا تفعل ذلك لأنّه حرام، أو مرجوح بل إنّ الإمام عليه السلام بكى وأعطى الشاعر جائزة، وأقره على ما قال. (عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٦٣ و٢٦٤ والبحار ج٤٩ ص٢٣٧ و٢٣٩ ـ ٢٥٢ ومقتل الحُسين للخوارزمي ج٢ ص١٣١ والغدير وغير ذلك كثير...).

وقد روي في الأحاديث الكثيرة: أن الجزع مستحب على الإمام الحُسين عليه السلام، وفُسِّرَ الجزع بما يشمل اللَّطمَ، قال الإمام الباقر عليه السلام: «أَشَدُّ الجَزَعِ: الصّراخُ بالوَيل والعَويل وَلَطم الوَجه والصَّدر... » (وسائل الشيعة ج٢ ص٩١٥ ط المكتبة الإسلامية).

وعن محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر والحسن بن علي جميعًا، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قلت له: «ما الجزع ؟ قال: أَشَدُّ الجَزَعِ الصّراخُ بالوَيل والعَويل وَلَطم الوَجهِ والصَّدر، وجَزّ الشّعر مِن النّواصي، وَمَنْ أَقَامَ النّواحة فَقَدْ تَرَكَ الصّبرَ، وَأَخَذَ في غَيرِ طَريقِه» (وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٣ - ص ٢٧١ – ٢٧٢).

والرّوايةَ وإنْ وردت في الجزع المنهي عنه غير أنها تفسره وتوضح المراد منه، وإذا ضممنا إليها الروايات التي تحبّذ الجزع على الإمام الحُسين عليه السلام فلا يسوغ لنا أن نتعدى أشد الجزع الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام أو نأتي بمصاديق نرى أنها أشد مما ذكره الإمام عليه السلام؛ بل ينبغي الوقوف عند الحد الأقصى المذكور منه عليه السلام.

بيان : إذا جمعنا بين الروايات الناهية عن الجزع والروايات المجوزة له بل الحاضّة عليه، يتبين لنا أنّ الروايات المسوِّغة للجزع على الإمام الحُسين عليه السلام تخصص أو تقيد تلك الروايات الناهية عنه، فتبقى تلك على عمومها أو إطلاقها دون الجزع على الإمام عليه السلام؛ فإنه من المستحبات، هذه هي الصناعة العلمية التي يسير على ضوئها العلماء في فهم الروايات والاتباع لها والوقوف عند حدودها.

دفع التضارب بين بعض الروايات

ذكر الشيخ المفيد قُدِّسَ سرُّه في كتاب الإرشاد حديثًا جاء فيه:

قال علي بن الحُسين عليهما السلام: إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها، وعندي عمتي زينب تمرضني، إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِن خَليلِ كَمْ لَكَ بِالإِشْرَاقِ وَالأَصِيلِ
مِن صَاحِبٍ أَو طَالِبٍ قَتيلِ وَالــدَّهرُ لا يَقْنَــعُ بِالبَديلِ
وَإِنَّمَا الأَمْــرُ إلى الجَليــلِ وَكُلُّ حَــيٍّ سَالِــكٌ سبيلي

فأعادها مرتين أو ثلاثًا حتى فهمتها، وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة، فرددتها، ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمَّتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة، ومن شأن النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة، حتى انتهت إليه فقالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي، فنظر إليها الحُسين عليه السلام فقال لها: يا أخية، لا يُذهِبنَّ حلمك الشيطانُ، وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو ترك القَطَا لنَامَ، فقالت: يا ويلتاه! أفتغتصب نفسك اغتصابًا؟! فذاك أقرح لقلبي وأشد على نفسي. ثم لطمت وجهها، وهوت إلى جيبها فشقته، وخرت مغشيًّا عليها، فقام إليها الحُسين عليه السلام، فصب على وجهها الماء، وقال لها: يا أختاه! اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي

خير مني، وأخي خير مني، ولي ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة. فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخية إني أقسمت فأبري قسمي، لا تشقي علي جيبًا، ولا تخمشي علي وجهًا، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي. (الإرشاد: ٢٣٢).

ما تقدم من الروايات التي تحث على الجزع على الإمام الحُسين (عليه السلام) قد يتنافى مع ما أورده الشيخ المفيد (يرحمه الله) في هذه الرواية، ويمكن الإجابة على الرواية بعدة أجوبة:

الأول : أن جزع السيدة (عليها السلام) هو الموافق للاستحباب الشرعي الوارد في الروايات، غير أن الإمام (عليه السلام) أراد منها التجلد بعد المصيبة لكونها الراعية للعائلة الكريمة، ولا تستطيع الجمع بين إظهار الجزع والرعاية للأرامل والأيتام، من هنا كلّفها الإمام (عليه السلام) بتكليف ثانٍ يختلف مع الوظيفة العملية بالنحو الأولي.

الثاني : أنها (عليها السلام) أرادت أن تظهر عِظَمَ المصيبة وعدم التحمل لرزاياها من خلال بيان الحكم الشرعي الذي ينبغي أن يقوم به المكلف، وإظهار أن المصيبة لهولها لا يمكن للمؤمن السوي أن يتحملها، وكأن التحمل الذي حدث بعد وصية الإمام (عليه السلام) لها من خلال لُطف خاص ومدد من عند الله يختلف حالها بعد حدوث المصيبة عنه قبلها، فهي رغم كونها عالمة غير معلمة إلا أنها قبل ذلك المدد الخاص لم تستطع تحمل وقع الفاجعة.

الثالث : احتمال أن يكون ذلك منها ترك أولى، بمعنى أن تلك الحالة من الجزع من المستحبات المؤكدة في حقها وفي حق غيرها، غير أن التكليف المنجز في حقها بالخصوص من ناحية الاستحباب بنحو أشد هو الصبر؛ ولذا لم يأتِ هذا التكليف لغيرها، بل بقي الاستحباب على حاله.

الرابع : أن يراد بالتكليف بعدم الجزع في بعض الأزمنة الخاصة، مثل عندما تكون في الكوفة أو في الشام، لأن الموقف يتطلب ذلك منها.

رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حُسين مِنّي وأنا مِن حُسين، أحبَّ الله من أحبَّ حُسينا، حُسينٌ سبطٌ من الأسباط»، البراء بن عازب: «رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حامل الحُسين (عليه السلام) وهو يقول: اللهم إني أحبّه فأحبّه» (البحار: ٤٣ / ٢٦١ / ١ وص ٢٦٤ / ١٦).

رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حُسينٌ مني وأنا منه» (كنز العمال: ٣٧٦٨٤).

رسول الله (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثني بالحق نبيًّا إن الحُسينَ بن عليّ في السماء أكبر منه في الارض، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله: مُصباح هدًى وسَفينةُ نجاة... » (البحار ج٩١ ص١٨٤)

الأحاديث الواردة في الإمام الحُسين عليه السلام كثيرة، بعضها وردت فيه على نحو العموم لكونه عليه السلام أحد أصحاب الكساء أو من أهل البيت عليهم السلام أو أخ للحَسن عليه السلام، وبعضها الآخر ورد فيه بخصوصه، ويهمنا في هذه الرسالة أن نوضح بعض ما ورد فيه بخصوصه.

إنّ قول النبي صلى الله عليه وآله: « حُسينٌ مني وأَنَا من حُسين» له معانٍ:

منها : إخباره صلى الله عليه وآله أنه عليه السلام ابن له وهو (ص) منه بمعنى أنّ بقاء الأب بأبنائه، غير أنّ هذا المعنى قد يفصح عن كون الحُسين عليه السلام يختلف عن غيره من أبناء البنات لميزة لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّ ذريته من ابنته الصديقة الزّهراء عليها السلام، وقد ورد عنه إخبار بذلك، قال صلى الله عليه وآله: «يا عَليّ، إن الله تبارك وتعالى جعل ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذريتي من صلبك» (الأمالي – الشيخ الصدوق – ص ٤٥٠)، وهو معنى صحيح.

ومنها : أن يكون المراد أنّ الحُسينَ عليه السلام في المسار والحجية هو النبي صلى الله عليه وآله، كلاهما حجة لله تبارك وتعالى على الخلق، ويكون معنى أنّ النبي (ص) من الحُسينِ عليه السلام هو أنّ بقاء النبي (ص) ببقاء دينه وشريعته التي بقيت بنهضة الإمام الحُسينِ (ع)، ولعل هذا المعنى

هو المشار إليه بالحديث الوارد «أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد» (بحار الأنوار للمجلسي ج٢٦ ص٦)٠

ومنها : أن يكون المراد بأنّ طينتهم واحدة ووجودهم النوري واحد، وقد جاء في الزيارة الجامعة: «وأن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنوارًا فجعلكم بعرشه محدقين حتى مَنَّ علينا بكم فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» (من لا يحضره الفقيه للصدوق ج٢ ص٦١٣)٠

ومنها : أن يكون المراد المعاني المتقدمة بأجمعها؛ إذْ لا مانع أن يقصد النبي صلى الله عليه وآله هذه المعاني لوجود تلاقي بينها أو ترتب بعضها على بعضها الآخر كترتب الحجية في عالم ما بعد الخلق على النورية في عالم ما قبل الخلق المادي.

أما قوله صلى الله عليه وآله: «أَحبَّ اللهُ مَنْ أَحبَّ حُسينًا، حُسينٌ سِبطٌ من الأسباط» تبيان للحجية لأقواله وأفعاله عليه السلام، وقد قرن صلى الله عليه وآله بين الحب ودليله، فإنّ قوله (ص): «حُسينٌ سبطٌ من الأسباط» دليل على حجية أقوال وأفعال الحُسينِ عليه السلام، إذْ أنّ المراد بالسبط هنا هو الإمام المفترض الطاعة الذي يهدي إلى الحق بمعنى الملهَم من قبل الله تبارك وتعالى، وقد جاء في القرآن الكريم تبيان ذلك، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (النساء:١٦٣)٠

السّبط في الآيتين الكريمتين هو الإمام الدليل على الله تعالى الذي افترض الله طاعته.

أما قوله صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق نبيًا؛ إن الحُسينَ بن عَلي في السماء أكبر منه في الأرض، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله: مُصباح هدًى وسفينةُ نجاة... ».

مصباحُ هدًى للتفريق بين الحق والباطل؛ إذْ أنّ الباطل يُشاب بشيء من الحق حيث لا يستطيع كثير من الناس أن يميّز بين الحق المحض والباطل المشوب بشيء من الحق ولا يتضح الحق

حينئذ إلاّ بنور قوي بمثابة المصباح، والإمام الحُسينُ عليه السلام كذلك، ولهذا لا يصل الخلق إلى الحق تعالى كما يريده سبحانه إلاّ بهذه العلامة الفارقة وهي الحُسين عليه السلام؛ فكان مصباح هدًى، وبهذا يصل الخلق إلى النجاة لكونه السفينة التي تنجي من أمواج الفتن المضلة، فكان عليه السلام أكبر في السماء منه في الأرض لأنّ عالم المعنى أعظم من عالم المادة.

الشعائر الحسينية

لقد ربط النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل البيت بين الحُسينِ وبين الصلاة والتسبيح من خلال السجود على تربته (عليه السلام) والتسبيح بها، وهناك روايات متعددة كشفت عن بعض أسرار هذا الارتباط، منها ما ورد عن الصادق (عليه السلام): «السّجود على طين قبر الحُسينِ (عليه السلام) ينور إلى الأرضين السبعة، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحُسين (عليه السلام) كتب مُسبِّحًا وإن لم يسبِّح بها» (وسائل الشيعة للحر العاملي ج٥ ص٣٦٥-٣٦٦)، ولعل قوله (ع) (ينور الأرضين السبعة) يكشف عن معنى دقيق هو أن الإنسان يكمن تسافله في ارتباطه بالأرض وإخلاده إليها، فإذا استطاع أن يرى بنور البصيرة عالم المعنى بتعلقه بالإمام الحُسينِ (عليه السلام) من خلال السجود على تربته استطاع أن يرتقي إلى أوج عالم المعنى بذلك النور الإلهي. ومنها، ما ورد عنه (عليه السلام) في حديثه عن أبيه الباقر، قال: «كان لأبي عبد الله (عليه السلام) خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله (عليه السلام)، فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه، ثم قال (عليه السلام): إن السجود على تربة أبي عبد الله (عليه السلام) يخرق الحجب السبع» (وسائل الشيعة للحر العاملي ج٥ ص٣٦٦).

والرواية تكشف عن أكثر من معنى، منها ما أفاده العلامة الحجة الشيخ محمد حُسين كاشف الغطاء (يرحمه الله) بأن المراد من الحجب السبعة هي :

«الحاءات السبعة من الرذائل التي تحجب النفس عن الاستضاءة بأنوار الحق، وهي: الحِقد، الحَسَد، الحِرص، الحِدّة، الحَماقة، الحيلة، الحقارة؛ فالسجود على التربة من عظيم التواضع، والتوسّل بأصفياء الحقّ يمزّقها ويحرقها ويبدلها بالحاءات السبع من الفضائل، وهي: الحِكمة، الحَزم،

الحِلم، الحَنان، الحَصانة، الحَياء، الحُبّ» (الأرض والتربة الحُسينية، للشيخ محمد كاشف الغطاء)، ولعل لهذه الحكمة واظب الأئمة (ع) على السجود عليها عمليًا ليلتفت طالبو الخير إلى ما في السجود على التربة من بركات، فقد كان الصادق (عليه السلام) لا يسجد إلا على تربة الحُسينِ (عليه السلام) تَذللاً لله واستكانة إليه(وسائل الشيعة للحر العاملي ج٥ ص٣٦٦–٣٦٧)، أما ما ورد من أنها شفاء من كل داء، فحكمته الارتباط الوثيق بين الروح والجسد، وأن الروح إذا قويت قوي الجسد وزالت عنه الأمراض، ولهذا كان التداوي بها شفاء من كل داء، قال الصادق عليه السلام: «في طين قبر الحُسينِ عليه السلام شفاء من كل داء وهو الدواء الأكبر» (من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٢ ص٥٩٩–٦٠٠)، بل إنهم (عليهم السلام) أمروا شيعتهم بأن يضعوا التربة في القبر مع الميت مقابلة لوجهه، روي عن أبي الحسن (عليه السلام) قوله: «ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسده التراب أن يضع مقابل وجهه لبنة من الطين، ولا يضعها تحت رأسه؟ ! » . أقول: المراد الطين المعهود للتبرك، وهو طين قبر الحُسينِ (عليه السلام)، والقرينة ظاهرة، وقد فهم الشيخ ذلك أيضا فأورد الحديث في جملة أحاديث تربة الحُسين (عليه السلام)، وهناك ما يدل على ذلك في وسائل الشيعة. (وسائل الشيعة للحر العاملي ج٣ ص٣٠).

وورد عنه أيضًا عندما سئل عن طين قبر الحُسين (ع): «أيوضع في قبر الميت؟ أجاب: توضع مع الميت في قبره، ويخلط بحنوطه، إن شاء الله» (وسائل الشيعة (آل البيت) – الحر العاملي – ج ٣ – ص ٢٩).

زيارة الحسين [عليه السلام]

من أعظم ما حَضَّ وحَثَّ عليه أئمة أهل البيت (ع) زيارة الحُسينِ، وقد رتبّت الروايات الثواب الجميل والأجر الجزيل في عالمي الدنيا والآخرة، وتتضح الحكمة من الزيارة لكونها تجسد كل قيم الحق والعدل والفضيلة والارتباط العقدي بأهل البيت (ع)، وبذلك يسير الزائر على ما ساروا عليه مقتديًا بهم من خلال عرفانه بحقهم وأنهم سفن النجاة وعين الحياة:

روى الصدوق في (ثواب الاعمال) عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبدالله (ع) فقيل لي: ادخل،

فدخلت فوجدته في مصلاه، فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه وهو يقول: «يا من خصنا بالكرامة، وخصنا بالوصية، ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني ولزوار قبر أبي الحُسينِ صلوات الله عليه الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبةً في بِرِّنَا ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسرورًا أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظًا أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضاك، فكافِئْهم عنا بالرضوان، واكلأْهم باللّيل والنّهار، واخلفْ على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصبحهم واكفِهم شر كل جبار عنيد، وكلّ ضعيف من خلقك أو شديد، وشرّ شياطين الجن والانس، وأعطهم أفضل ما أَمَّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللّهم إن أعداءَنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، وخِلافًا منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوهَ التي قد غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبدالله (ع)، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس، وتلك الأبدان حتى توافيهم على الحوض يوم العطش» فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك، لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئا، والله لقد تمنيت أني كنت زرته ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه، فما الذي يمنعك من زيارته؟!.. ثم قال: يا معاوية!.. لم تدع ذلك ؟.. قلت: لم أدرِ أن الأمر يبلغ هذا كله، قال: يا معاوية!.. من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، يا معاوية لا تدعه، فمن تركه رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والأئمة (ع)؟.. أما تحب أن تكون غدًا ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر له ذنوب سبعين سنة ؟.. أما تحب أن تكون غدًا ممن تصافحه الملائكة؟.. أما تحب أن تكون غدًا فيمن يخرج وليس له ذنب فيتبع به؟.. أما تحب أن تكون غدًا ممن يصافح رسول الله (ص)؟..(ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٩٦).

وورد عنه أيضًا أنه: «ليس شيء في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يؤذن لهم في زيارة الحُسين (ع)، ففوج ينزل وفوج يعرج» (ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٩٦)، وعن الإمام الباقر (ع): «إن اللهَ وكّل بالحُسينِ سبعين ألف ملك شعثًا غبرًا يصلون عليه منذ يوم قتل إلى ما شاء الله (يعني قيام القائم) ويدعون لمن زاره، ويقولون: يا ربّ هؤلاء زوار الحُسين افعل بهم وافعل بهم» (ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٨٧).

وقال إمامنا الرّضا (ع) مخاطبًا الريّان بن شبيب: «يا بن شبيب !..إن سرّك أن تلقى اللهَ ولا ذنبَ عليك فزر الحُسينَ .. يا بن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي (ص) فالعن قتلة الحُسين .. يا بن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحُسينِ (ع) فقل متى ذكرتهم: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيمًا» (عيون أخبار الرضا (ع) للشيخ الصدوق ج٢ ص٢٦٩)، نعم كل ما تقدم مشروط بعرفان حق الإمام (ع)، وقد أُوضِحَ ذلك في الروايات بأن يعتقد الزائر أن الحُسينَ إمام افترض الله طاعته على الخلق، بل إن زيارات المعصومين (ع) مشروطة بهذا الشرط في ترتب الآثار عليها، قال الإمام الصادق (ع): «من زار قبر أبي عبدالله (ع) عارفًا بحقّه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» (ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٨٦)، وعن الإمام الباقر (ع) عن أبيه السجاد (ع): «أن من زار قبر الحُسين بن علي (ع) عارفًا بحقه كتبه الله في عليين، ثم قال: إن حول قبره سبعين ألف ملك شُعثًا غُبرًا يبكون عليه إلى يوم القيامة» (وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٤٢٢).

بعض الآثار ومضاعفة الأعمال

لزيارة الحُسينِ (ع) آثارٌ كثيرةٌ، غير أن من أهم الآثار لزيارته (ع) أن يحيَا الزائر سعيدًا وأن يموت شهيدًا، عن الصادق (ع) قال: «لا تَدَعْ زيارةَ الحُسينِ بن علي (ع) ومُرْ أصحابك بذلك يمد الله في عمرك، ويزيد في رزقك، ويحييك الله سعيدًا، ولا تموت إلا شهيدًا، ويكتبك سعيدًا»، وعنه (ع) قال: «ومَن زار قبر الحُسينِ (ع) عَارفًا بحقّه، كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة، وغَفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر».

ويظهر من بعض الروايات أن ما يترتب من الثواب لا يدركه العقل، بحيث لو كشف عن الواقع لمات المؤمن شوقًا إلى زيارته، روي عن الباقر (ع) قال: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحُسين (ع) من الفضل لماتوا شوقًا، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟.. قال: من زاره تشوقًا إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظًا ... الحديث. وفيه ثواب جزيل، وفي آخره: أنه يُنادي منادٍ: هؤلاء زوار الحُسين شوقًا إليه»، وعن الصادق (ع) لما سُئل ما لمن زار قبر الحُسين (ع) عارفًا بحقه غير مستكبر ولا مستنكف؟ فقال: «يكتب له ألف حجة مقبولة وألف عمرة مقبولة، وإن كان شقيًّا كتب سعيدًا، ولم يزل يخوض في رحمة الله»، وفي رواية أخرى عنه (ع): «من أحب أن يصافحه مائتا ألف نبي وعشرون ألف نبي، فليزر قبر الحُسين بن علي (ع) في النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين تستأذن الله في زيارته فيؤذن لهم»، وعن الباقر (ع) قال: «من زار الحُسين (ع) ليلة النصف من شعبان غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن زاره يوم عرفة كتب الله له ألف حجة متقبلة وألف عمرة مبرورة، ومن زاره يوم عاشورا فكأنما زار الله فوق عرشه»، وعنه (ع) أيضًا: «إذا همّ الرجل بزيارته فاغتسل ناداه محمد (ص): يا وفد الله، أبشروا بمرافقتي في الجنة. وناداه أمير المؤمنين (ع): أنا ضامن لقضاء حوائجكم، ودفعت البلاء عنكم في الدنيا والآخرة، ثم اكتنفهم النبي صلى الله عليه وآله وعلي (ع) عن أيمانهم وعن شمائلهم حتى ينصرفوا إلى أهاليهم».

الزيارة عن شوق

أكدت بعض الروايات على زيارته عن شوق لترتب المنزلة الرفيعة والكون في درجة الحُسين في الآخرة، وذلك أن الشوق يكشف عن نهاية الحب الذي يصهر المحب في بوتقة العرفان بالإمامة، ولا يتأتى ذلك إلا لمن كُشف الغطاء عن بصيرته، عن أبي عبد الله (ع): «من أتى قبر الحُسين (ع) تشوقًا إليه كتبه الله من الآمنين يوم القيامة، وأُعطي كتابه بيمينه، وكان تحت لواء الحُسينِ بن علي (ع) حتى يَدخلَ الجنةَ، فيسكنه في درجته إن الله سميع عليم»، وعنه (ع) قال:

«واللهِ إن اللهَ يباهي بزائر الحُسين والوافد إليه الملائكة المقربين وحملة عرشه، فيقول لهم: أما ترون زوار قبر الحُسين (ع) أتوه شوقًا إليه وإلى فاطمة ؟!.. وعزتي وجلالي وعظمتي لأوجبنَّ لهم كرامتي، (ولأُحبنهم لمحبتي) ... » الحديث، وفيه ثواب جزيل.

أفضل الأعمال

أفصحت بعض الروايات أن زيارة الحُسين (ع) أفضل الأعمال، وذلك أنها تتضمن أو تستلزم غيرها من الأعمال، عن أبي عبدالله (ع) قال: «إن زيارة الحُسين (ع) من أفضل ما يكون من الاعمال».

من نافلة القول أنّ زيارة الحُسين عليه السلام كالصلاة والصوم والحج والزكاة وسائر الأعمال المستحبة والواجبة لها شرائط، وقد ورد في بعض الروايات أنّ من شرائطها الإيمان والاعتقاد بكونه إمامًا افترض الله طاعته، وهناك شرائط أخرى من أهمها تقوى الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧).

ومن ذلك أيضاً: مودة أهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى:٢٣) أي أنّ أجر الرسالة بواجباتها ومستحباتها وما تشتمل عليه من مفاهيم هو مودة أهل البيت عليهم السلام، وهناك أمور أخرى لسنا بصدد تبيان هذا الجانب وإنما الإشارة باقتضاب إليه.

المشي لزيارة الحسين عليه السلام

هناك شعيرة هامة، وهي المشي لزيارة الحُسين عليه السلام، ورغم أنّ المشي مقدمة للزيارة غير أنّ الروايات أكدت عليه وأفصحت عن ترتب الثواب الجزيل لمن مشى لزيارته عليه السلام، وذلك لدلالته على مزيد العناية وتحمل المشقة في سبيل زيارة الإمام عليه السلام، ومن البيّن اقتران ذلك بالشوق إذْ لولا شوق الزائر ومحبته لما مشى لزيارته عليه السلام، وإليك ما ورد عنهم عليهم السلام في هذه الشعيرة:

قال أبو عبد الله عليه السلام للحُسين بن علي بن ثوير بن أبي فاختة: «يا حُسين من خرج من منزله يريد زيارة الحُسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إن كان ماشيًا كتب الله له بكل خطوة حسنة وحط بها عنه سيئة، حتى إذا صار بالحائر كتبه الله من المفلحين، وإذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال له: أنا رسول الله ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غُفِرَ لك ما مضى» (تهذيب الأحكام للطوسي ج٦ ص٤٣).

وعنه عليه السلام قال: «من أتى قبر الحُسين عليه السلام ماشيًا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة» (كامل الزيارات لابن قولويه ص٢٥٥).

وعن الباقر عليه السلام: «ما أتاه عبد فخَطَا خطوة إلا كتب الله له حسنة، وحطّ عنه سيئة» (المصدر السابق ص٢٥٦).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الرجل ليخرج إلى قبر الحُسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة لذنبه، ثم لم يزل يقدس بكل خطوة حتى يأتيه... » (ثواب الأعمال للصدوق ص٩١).

وعنه عليه السلام: «من أتى قبر الحُسين ماشيًا كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل» (وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٤٤٢).

الشعر في أهل البيت عليهم السلام

الشّعر من أوضح مصاديق الأدب في العصور الخالية، ولا زال له بريقه الخاص المؤثر على الناس كلهم فضلاً عن النخب، من هنا اهتم به النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وأولوه عناية لما له من زخم عالٍ في التأثير وربط الناس بالحق والخير والفضيلة، وقد روي أنّ جعفر بن عفان لما دخل على الإمام الصادق عليه السلام قرّبه وأدناه. ثم قال: يا جعفر قال: لبيك جعلني الله فداك.

قال: بلغني أنك تقول في الحُسين عليه السلام وتجيد فقال له: نعم جعلني الله فداك. قال عليه السلام: «قل؛ فأنشده حتى بكى صلوات الله عليه ومن حوله وحتى سالت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال: يا جعفر، والله لقد شهدت ملائكة الله المقربون هاهنا ليسمعوا قولك في الحُسين

عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك هذه الجنة بأسرها، وغفر الله لك، ثم قال: يا جعفر، ألا أزيدك؟ قال: نعم يا سيدي ،قال: ما من أحد قال في الحُسين عليه السلام فبكى أو أبكى إلا وأوجب الله تعالى له الجنة وغفر له» (وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٥٩٤).

ولما دخل الكميت على الإمام الباقر عليه السلام وأنشده: «من لقلب مُتيّم مستهام »، فلما فرغ قال عليه السلام للكميت: «لا تزال مُؤيدًا بروح القُدُس مَا دُمْتَ تقول فينا» (وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٥٩٨).

وقال الصادق عليه السلام: «ما قال فينا قائلٌ بيتًا من شعر حتى يؤيّد بروح القُدُس» (وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٥٩٨).

وقال عليه السلام: «من قال فينا بيت شعر، بنى الله تعالى له بيتًا في الجنة».

وعن الرضا عليه السلام: «ما قال فينا مؤمن شعرًا يمدحنا به، إلاّ بنى الله له مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرّات، يزوره فيها كل ملك مقرّب وكل نبي مرسل» (وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٥٩٨).

وينبغي أن نفهم أنّ الشعر مصداق بارز من مصاديق الأدب، والأحاديث الآنفة تشمل المصاديق الأخرى التي تبرز فضائلهم وسجاياهم عليهم السلام، وتربط الناس بهم كالرّسم والنّحت والقصة وكتابة الكتب والمقالات عنهم وفيهم صلوات الله وسلامه عليهم.

تبيان : إنّ بعض الشعائر الحُسينية كالشعر في رثاء الحُسين عليه السلام أو المنبر الحُسيني بالنحو العام يراد به الإعلام بإبلاغ أهداف ومقاصد الثورة الحُسينية، وكل وسيلة من وسائل الإعلام تتناسب مع الثورة وقدسيتها تكون مشمولة لما جاء في الروايات والأحاديث التي حضت على إحياء أمرهم عليهم السلام وإيصال محاسن كلامهم إلى الناس.

ملاحظات

أولاً : إنّ ما ورد عنهم عليهم السلام من شعائر في إحياء أمرهم وربط الناس بهم ينبغي علينا أن نبرزه بالنحو الأرقى من الناحية الأدبية والفنية ليؤثر في الناس.

ثانياً : إنّ بعض ما ورد له مصاديق متجددة كالقراءة على الحُسين عليه السلام بإنشاد الشعر، فإنّ ذلك مصداق من مصاديق المنبر الحُسيني ولكن لا ينحصر المنبر به، ولذا تطور المنبر من الشعر وذكر بعض الفضائل نثرًا إلى ما يماثل الدرس والمحاضرة وتهيئة الاستعداد لذلك، أي أنّ المنبر تحول إلى جامعة متعددة المعارف والحقول التخصصية، فكل منبر له سماته الخاصة وخصائصه الفريدة.

ثالثاً : لو افترضنا أنّ بعض الشعائر مستحبة غير أنها تؤثر سلبًا على مذهب أهل البيت عليهم السلام هل يجوز الإتيان بها؟

الجواب: كلا، ولذا لا يوجد أفضل من اللعن لأعداء الله في الروايات، مع أنّ المجاهرة به تبعد الناس عن مذهبهم عليهم السلام؛ لذا لا يجوز بالعنوان الثانوي وإنْ كان من المستحبات بالعنوان الأولي.

ولم يحتج أحد بأنه ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(هود:١٨)، أو يأتي بأحاديث اللعن ليرفع بها، علمًا بأنها دالة على الاستحباب المؤكد، إذ أن الأمر يرجع إلى تقديم الأهم على المهم، ومن البيّن أن تقريب الناس إلى أهل البيت عليهم السلام هو المتعين والأهم، ولذا جاء في الروايات تحبيب الناس إلى أهل البيت عليهم السلام . قال الصادق عليه السلام: «رحم الله عبدًا حبّبنا إلى الناس ولا يُبغِّضنا إليهم، وايمُ الله لو يرون محاسنَ كلامنا لكانوا أعز، وما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء» (مشكاة الأنوار)، وورد عن الرضا عليه السلام: «رَحِمَ اللهُ عبدًا أحيا أمرنا، فقلت له: فكيف يحيي أمركم قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو عَلِموا محاسنَ كلامنا لا تبعونا» (مسند الإمام الرضا).

من أهم مقاصد الثورة الحُسينية:

الأول: الإصلاح على الصُعُد المختلفة، وقد أوضحه الإمام الحُسين عليه السلام بقوله: «وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله».

الثاني: الرقابة الاجتماعية من خلال مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد بينه عليه السلام: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

الثالث: السير على الصراط المستقيم المتجسد في النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وقد أوضحه عليه السلام: «وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام».

الرابع: التغيير السلمي من خلال المطالبة بالحقوق والاستعداد للتضحية في سبيل ذلك دون التعدي على أحد، قال عليه السلام: «فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين» ولم يقل عليه السلام: "أنّ من لم يقبل برؤاه ومطالبه الإصلاحية فإنّ الفيصل بينه وبينهم هو السيف والقوة"؛ إذْ أنّ الإمام عليه السلام يركز على قوة المنطق ونصاعة الحق وسلمية المطالبة به.

الخامس: العدالة الاقتصادية، وقد أوضح ذلك بقوله عليه السلام: «وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيءِ» بمعنى أنّ مقدرات الدولة الاقتصادية أصبحت تصرف على أنصار السلطة دون التفكير في الرعية وحقوق الناس؛ ولهذا لابد من تذكير الناس بحقوقهم ليطالبوا بها بطرق سلمية، ولهذا ذكرهم الإمام عليه السلام بقوله: «بغير عدل أفشوه فيكم».

السادس: الحرية، ولعلها من أهم مقاصد الثورة؛ إذْ أنّ استعباد الإنسان يكبله ويشل حركته على جميع الأصعدة فيصبح كالآلة ينفّذ ما يراد منه دون وعي أو فهم، فلا ينضوي تحت القوانين والأحكام الإسلامية، وإنما يفعل ما تطلبه السلطة منه وإنْ خالف الإسلام، وذلك لقهر السلطة له بالقوة، وقد أفصح الإمام عليه السلام عن هذا المعنى بقوله: «ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين الذلة والسلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية».

السابع: الاستعداد للتضحية والاستشهاد في سبيل الله تعالى للذود عن كرامة الإنسان وقداسة الشريعة، قال عليه السلام: «من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة ومقلل من هذه الكثرة مع قلة العدد وخذلة الناصر» بل الأكثر وهو أن يكون الاستعداد بتقديم الغالي والنفيس إذا استدعى الأمر التعدي على الحرمات بقتل الأطفال وسلب النساء وسبيهم وحرق المخيمات، بمعنى أنّ العدو لا يؤمن بقيم للشرع أو للإنسان، وقد أفصح الإمام عليه السلام عن ذلك بقوله: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال: يا حُسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً، فقال محمد ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال ؟ قال: فقال [لي صلى الله عليه وآله]: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا».

الثامن: اليقين بالسعادة لمن قتل في سبيل الله تعالى انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران:١٦٩)، وقد أكّد الإمام عليه السلام هذا المعنى بقوله: «إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برمًا» (بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص١٩٢)، ولهذا أقدم على الموت مع علمه القطعي بذلك، قال عليه السلام: «كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء» (اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس ص٣٨).

إنّ مسألة الشهادة في سبيل الله تعالى من أهم الأمور التي أولاها النبي والأئمة عليهم السلام بعد القرآن الكريم العناية، قال صلى الله عليه وآله: «فوق كل ذي بر بر، حتى يقتل الرجل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر» (الكافي للكليني ج٢ ص٣٤٨).

الإمام زين العابدين عليه السلام: «ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها العبد إلا الله عز وجل» (ميزان الحكمة للريشهري ج٢ ص١٥١٢).

عنه صلى الله عليه وآله: «أشرف الموت قتل الشهادة» (ميزان الحكمة للريشهري ج٢ ص١٥١٢).

عنه عليه السلام – في ختام كتابه للأشتر لما ولاه مصر –: «وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، . . . أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة» (ميزان الحكمة للريشهري ج٢ ص١٥١٢).

عنه صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده لوددتُ أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل» (ميزان الحكمة للريشهري ج٢ ص١٥١٣).

عنه (عليه السلام): «فوالله إني لعلى الحق، وإني للشهادة لمحب» (ميزان الحكمة للريشهري ج٢ ص١٥١٣).

عنه صلى الله عليه وآله: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة» (ميزان الحكمة للريشهري ج٢ ص١٥١٥).

ذلك أنّ تغيير الواقع لا يتحقق إلاّ بأقصى درجات الجهد وبذل الأموال والأنفس في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١١١).

التاسع: سيادة القانون ، تقدم كل مجتمع يرتبط بتفعيل القانون وسيادته، أي أن يطبق على الجميع سواسية دون ابتزار له أو استثناء أو قلب لحقائقه، وقد مارس الأمويون التزوير للشرع الحنيف بأنحاء متعددة منها تحليل الحرام وتحريم الحلال، ومنها تطبيق القانون على بعض المستضعفين من الناس دون أنصار السلطة الظالمة، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بقوله: «وَأَحَلُّوا حَرامَ اللهِ، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ»، وحري بنا أن نعي أنّ الحضارة والتقدم للمجتمع يتوقفان على تحكيم القانون وسيادته.

العاشر: الفتح، وهو من أهم معالم نهضة الإمام الحُسين عليه السلام، قال عليه السلام: «فإنّ من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» (كامل الزيارات لابن قولويه ص١٥٧).

وللفتح معانٍ متعددة:

الأول : الفتح العسكري، بمعنى أن تكون نهضة الإمام – عليه السلام – مقدمة لكل حكومة إسلامية تجسد معالم الفكر الأصيل للإسلام.

الثاني : الفتح العسكري لحكومة الإسلام العالمية، التي يقودها الإمام المهدي (عليه السلام) أي: أن حركة الإمام – عليه السلام – هي الموطئة لدولة الإسلام العالمية، وقد أشارت بعض الروايات إلى ذلك، عن الإمام الصادق عليه السلام – في حديث أصحاب القائم عليه السلام – قال: «وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحُسين عليه السلام، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر».(مستدرك الوسائل – الميرزا النوري – ج ١١ – ص ١١٤).

الثالث : أن يراد بالفتح فتح القلوب المغلقة، والتي لا استعداد لها؛ لسماع كلمة الحق، لتغطية الأفكار الخاطئة عليها من المسلمين خاصة، إذ من المعلوم أن الأمويين اجتهدوا في طمس الإسلام فكانت ثورة الحُسين (عليه السلام) هي القادرة بما تحمله من معانٍ قيمية وزخمٍ عاطفي، على إرجاع من سبقت له من الله الحسنى إلى الحق.

الرابع : أن يراد بالفتح فتح القلوب والأفهام من عامة البشر على حقائق الثورة الحُسينية؛ لاستلهام معانيها، ولهذا نجد الكثير من العظماء و القادة والسياسيين يشيدون بها وبمنجزاتها،

وإليك بعض ما قيل من غير المسلمين:

١) الكاتب الإنجليزي المعروف كارلس السير برسي سايكوس ديكنز: إن كان الإمام الحُسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن فالعقل يحكم أنه ضحى فقط لأجل الإسلام.

٢) المستشرق الإنجليزي ادوارد بروان: وهل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثًا عن كربلاء؟ وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها.

٣) انطوان بارا، مسيحي: لو كان الحُسين منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبرًا، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحُسين.

٤) الهندوسي والرئيس السابق للمؤتمر الوطني الهندي تاملاس توندون: هذه التضحيات الكبرى من قبيل شهادة الإمام الحُسين عليه السلام رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتذكر على الدوام.

٥) الزعيم الهندي غاندي: لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحُسين، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أن الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلا بد لها من اقتفاء سيرة الحُسين عليه السلام .

٦) مودوكابري ريس: يقال في مجالس العزاء إن الحُسين ضحى بنفسه لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد؛ إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة، لنتخلص من نير الاستعمار، وأن نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة.

٧) الكاتب المسيحي كرم قنصل: سيرة الحُسين مبادئ ومُثُل وثورة أعظم من حصرها ضمن الأطر التي حصرت بها، وعلى الفكر الإنساني عامة أن يعيد تمثلها واستنباط رموزها من جديد؛ لأنها سر السعادة البشرية وسر سؤددها وسر حريتها وأعظم ما عليها امتلاكه.

٨) توماس ماساريك: على الرغم من أن القساوسة لدينا يؤثرون على مشاعر الناس عبر ذكر مصائب المسيح، إلا أنك لا تجد لدى أتباع المسيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجده لدى أتباع الحُسين لا تمثل إلا قشة أمام طود عظيم.

٩) العالم والأديب المسيحي جورج جرداق: حينما جنّد يزيد الناس لقتل الحُسين وإراقة الدماء، وكانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أما أنصار الحُسين فكانوا يقولون لو أننا نقتل سبعين مرة، فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى أيضًا.

١٠) المستشرق الإنجليزي السير برسي سايكوس: حقًّا إن الشجاعة والبطولة التي أبدتها هذه الفئة القليلة، على درجة بحيث دفعت كل من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إراديًا. هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتًا عاليًا وخالدًا لا زوال له إلى الأبد.

أما ما قيل من المسلمين غير المنتمين لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فلا حَدَّ له، وإليك بعض منه:

١) شيخ الأزهر المرحوم الدكتور الطنطاوي: الملحمة الحُسينية تبعث في الأحرار شوقًا للتضحية في سبيل الله، وتجعل استقبال الموت أفضل الأماني، حتى تجعلهم يتسابقون إلى منحر الشهادة.

٢) عباس محمود العقاد، الكاتب والأديب المصري: ثورة الحُسين، واحدة من الثورات الفريدة في التاريخ لم يظهر نظير لها حتى الآن في مجال الدعوات الدينية أو الثورات السياسية، فلم تدم الدولة الأموية بعدها حتى بقدر عمر الإنسان الطبيعي، ولم يمضِ من تاريخ ثورة الحُسين حتى سقوطها أكثر من ستين سنة ونيّف.

٣) أحمد محمود صبحي: وإن كان الحُسين بن علي عليه السلام قد هزم على الصعيد السياسي أو العسكري، إلاّ أن التاريخ لم يشهد قط هزيمة انتهت لصالح المهزومين مثل دم الحُسين، فدم الحُسين تبعته ثورة ابن الزبير، وخروج المختار، وغير ذلك من الثورات الأخرى إلى أن سقطت الدولة الأموية، وتحول صوت المطالبة بدم الحُسين إلى نداء هزّ تلك العروش والحكومات.

الخامس: أن يُراد بالفتح جميع المعاني المتقدمة.

والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم

وزاد وبارك على محمد وآله الطاهرين

حُسين العَايش البرَّاك